وقوله تعالى « فيها يفرق كل أمر حكيم » معناه انه يفصل فيها ويبين كل أمر من أمور الوحي لامن أمور الخليقة بدليل ان سياق الكلام في انزال القرآن وبدليل الآية التي بعدها وهي « أمرا من عندنا انا كنا مرسلين » فبين أن هذه الأمور هي التي تختص بارسال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

واعلم انه قد ورد في تفسير هذه الآية ان الملائكة تكتب فيها الأقدار ولكن هذا ليس منصوصا في الكتاب العزيز ولافي الحديث المتواتر فيكون قطعيا والاعتقاد به محتما ولا في الاحاديث المرفوعة الصحيحة الآحادية فيكون ظنيا والاعتقاد به من الاحتياط وانما ورد عن بعض الذين اشتهروا بالتفسير من السلف ورويت عنهم فيه الموضوعات والاكاذيب حتى قال الامام أحمد انه لايصح في التفسير شيء ، وأقوى ماروي في ذلك مارواه عبد الرزاق وغيره عن مجاهد وعكرمة وقتادة . وقد علمت أن المعترض قد سقط بشبهته سواء صح ذلك عن هؤلاء المفسرين أم لم يصح « فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون * فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين »

باب الاسئلة والاجوبة

(بيان القرآن وبلاغته ومايوهم غير ذلك)

(س ١) الشيخ احمد محمد الالفي بطوخ القراموص : كيف الجمع بين قوله تعالى « وما أصابك من سيئة فمن نفسك » وقوله تعالى « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا »

(ج) راجعوا ماكتبه الاستاذ الامام في الجمع بين الآية الاولى وبين قوله تعالى «قل كل من عند الله» في الصفحة ١٥٧ من مجلد المنار الثالث

(س٢) ومنه : كيف الجمع بين قوله تعالى في أوائل السور : حم : الر : ن : ق : وقوله «عربي مبين » وقوله «تلك آيات الكتاب المبين ـ قرآنا عربيا غير ذي عوج» الخ :

(ج) ان «حم» ونظائرها أسماء للسور على الراجح عند المحققين ودلالة الاسم على المسمى بينة لاعوج فيها وأنتم تعلمون ان الاسماء لاتعلل فلا يقال : لماذا سميت السورة المعلومة (ن) فان كانت سميت بما ذكر الحوت فيها والنون من أسماء الحوت فلماذا

سمي غيرها باسماء حروف مفردة ومركبة لا يعرف لها معنى غير تلك الحروف ؟ لا يقال هذا لانا اذا جوزنا ان يقال لقيل في جميع الاسماء ولذلك قالوا : الاسماء لا تعلل . وأما الذين يقولون بان لتلك الحروف اشارات لمعاني سامية تعلو أفهام العوام ولا يعرفها الا الراسخون من العلماء الربانيين فقولهم هذا اذا صح لا ينافي انها أسماء للسور وان القرآن مبين وظاهر يتيسر لكل من يعرف اللغة العربية مفرداتها وأساليبها ان يفهمه ويهتدي به . ومثال هذا في المحسوسات الاهرام فان جميع المؤرخين والقارئين للتاريخ يعرفون الغرض منها ثم ان الرياضي منهم يستخرج من مساحة أضلاعها وهيئة أوضاعها مالا يعرفه غيره ممن عرف معناها والغرض منها ولم يعلم ان تلك الاطوال والعروض وضعت بالمقادير المخصوصة لتدل على مقاييس البلاد في الزمن الذي بنيت فيه وغير ذلك. فكل ما يمكن استخراجه من القرآن بطريق معقول فلا ينبغي ان يتوقف في قبوله لانه لم يهتد اليه الا بعض الخواص. وأما الذي لا يقبل فهو ما كانت دلالته على معناه غير وضعية ولا عقلية كاستخراج المعاني من هذه الحروف بالعدد الذي يسمونه حساب الجمل . وهذا المعنى الذي قلناه ظاهر عند أهله في العلوم العالية المشروحة في القرآن وأعني العلوم الالهية والغيبية فان آياتها ظاهرة للعارف باللغة فهي في غاية البيان ووراءها معان أخرى يعرفها بعض الخواص وهي توافق المعاني الظاهرة وتزيد عليها بما لا يخالفها ولكنه يدق عن أفهام العامة . وهذا ضرب من ضروب اعجاز القرآن لعلنا نوفق لشرحه في وقت آخر . نعم ان كون القرآن مبينا لا يمكن ان يجامع القول بالتقليد الذي يزعم أهله ان الكتاب والسنة المبينة له لم يفهمهما الا نفر ماتوا ولا يمكن ان يوجد بعدهم من يفهمهما

(س ٣) ومنه : ان كثيرا من المسيحيين لهم القدح المعلى في اللغة والبلاغة ومع ذلك لم يعترف باعجاز القرآن مع مافيه من أسرار البلاغة وضروب الاحكام والحكم وبديع المعاني والبيان مما جعل عرب زمن التنزيل في دهشة منه واعترفوا باعجازه ومن كفر فانما كفر عن حسد وعناد. ومع ذلك ترى هذا المسيحي الأديب الفصيح متمسكا بالنصرانية فيقول : لاريب ان المسيح (عليه السلام) إله وانسان وخالق ومخلوق وعابد ومعبود ورب وعبد ومخلص ومصلوب وبار وملعون (١) وآب وابن

(١) في التوراة ملعون كل من يصلب على خشبة ويزعم النصارى ان المسيح قبل اللعنة لاجل خلاص الناس

وروح قدس فهو ثلاثة حقيقة وواحد حقيقة : الى غير ذلك من ضروب المتناقضات فهل لذلك من سبب ؟ ثم هو ينظر الى الكتاب المقدس نظر المغشي عليه فيغض الطرف عن تناقضه واختلافه وانقطاع اسناده ومخالفته لصريح العقل ومقبول النقل وفساد آدابه ثم يفتح عينيه لانتقاد القرآن الحكيم فيأتي بالمضحك والمبكي المحزن للانسانية والفضيلة والعدل والحرية في القول والعمل فهل لذلك من سبب أيضا :

(ج) السبب في هذا وذاك ان من ذكرتم قد اتخذوا الدين جنسية ورابطة اجتماعية سياسية فهم يحافظون على العقائد والتقاليد والعادات الملية التي تربطهم بعامة أهل ملتهم اذا لو أهملوها لانحلت جامعتهم وصاروا بغير أمة وغير ملة . ولم ينظروا في الاسلام نظر إنصاف فيفهموه من أصوله لان المسلمين الذين اتخذوا الدين جنسية أيضا قد عادوهم عداوة لم يأذن بها الاسلام فكانت هذه المعاداة سببا في بحث كل فريق عن عيوب الآخر فقط لا عن حقيقة ما عنده . وأنتم تعلمون ان البدع والمنكرات الفاشية في المسلمين كافية لان تكون حجابا دون محاسن الاسلام حتى تحجب العاقل المنصف ، بله المعاند المتعسف ، فالعارفون بفنون البلاغة من النصارى قلما ينظرون في القرآن نظر إنصاف ومن نظر ولاح له أنه معجز فان العداوة الجنسية تمنعه من قول الحق لاسيما اذا كان يرى أن كون القرآن معجزا ببلاغته لا يدل على كونه منزلا من عند الله تعالى وجاهم أو كانهم يرون ذلك . وقد وجد من أهل العلم والانصاف منهم من صرح بان القرآن قد بلغ حد الاعجاز في بلاغته كالعلم جبر أفندي ضومط استاذ البلاغة في المدرسة الكلية الامريكانية في بيروت فانه قد صرح بذلك في فاتحة كتابه (الخواطر الحسان في المعاني والبيان)

هذا — وقد علمنا بالاختبار ان أكثر المتعلمين العقلاء من النصارى لا يعتقدون بالتثليث ولا بشيء من الخرافات المعروفة عند قومهم بل منهم المتطرفون الذين لا يعتقدون الا بالمحسوسات والبديهيات المعقولة . ولو أن المسلمين الذين يعيش معهم هؤلاء النصارى أهل نظر وبرهان ، واطلاع على علوم هذا الزمان ، لا أهل تقليد للاموات ، وتسليم بالخرافات ، وكانوا يعاملونهم بالانصاف ، ويجادلونهم بالتي هي أحسن ، لرأيت كثيرين منهم دخلوا في الاسلام ، ولرأيت من لم يدخل فيه ، يعترف بفضله ولا يعاديه [illegible]

أرى أننا احوج الى حسن معاملتهم والقسط اليهم في هذا العصر منا الى ذلك العصور السابقة وان هـذا خير لنا ولهم في الدين والدنيا فعسى ان يوجد في عقلاء المسلمين كثيرون يسعون في هذه السبيل

(س ٤) محمد افندي عمر السمان بمصر : اختلف المفسرون في تفسير آيات القرآن الشريف اختلافات شتى وبين كل واحد لها معنى قلما يتفق مع الآخر وأعلمهم من علماء العربية العارفين بأسرارها ودقائقها فما معنى بلاغة القرآن مع انبهام معانيه حتى على الخاصة الذين هم أولى الناس بفهمه وهل يعد كلام بليغا اذا أنبهم معناه على سامعيه واختلفوا في فهم المراد منه طرائق شتى ؟ نرجو ان تفيدونا في منارکم الوضاح جواب هذا السؤال بعبارة يفهم كل القراء معناها، ولا يخفى على الخاصة منهم مغزاها، ولكم الفضل :

(ج) نقول قبل كل شيء ان السائل قد غلا في تقرير الخلاف في فهم الآيات حتى زعم ان الاتفاق بين المفسرين العارفين بأسرار العربية قليل والصواب ان الخلاف بين المحققين العارفين هو القليل وأن الاكثر متفق عليه ثم ان الجواب يتجلى في مسائل نذكرها بالاختصار فنقول

(١) ان الغرض من البلاغة ان يبلغ المتكلم مايريد من نفس المخاطب وهو الفهم والتأثير وقد بلغ القرآن من نفوس من دعوا به الى الاسلام مبلغا لم يعهد مثله لكلام آخر عربي ولا عجمي وما ذلك الا انهم فهموا معانيه بدلائلها وبراهينها وتأثروا بحكمه ومواعظه حتى تركوا عقائدهم وتقاليدهم وعاداتهم التي كانوا يفاخرون بها وانشئوا خلقا جديدا وحتى كان المشاغبون المعاندون منهم لم يروا وسيلة للتخلص من تأثيره الا بالاعراض عن سماعه واللغو واللغط عند تلاوته حتى لا يصل منه شيء الى نفوسهم كما حكى الله تعالى عنهم بقوله « وَقَالُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ » ولم ينقل عن العرب من آمن منهم ومن لم يؤمن انهم اختلفوا في فهمه كما اختلف من بعدهم وإنما كان الراسخين في العلم كالخلفاء لاسيما رابعهم وكابن عباس فهم أعلى من فهم سائر الناس كما فهم ابن عباس من سورة النصر ان النبي عليه الصلاة والسلام قد دنا أجله وان قوله تعالى « فسبح بحمد ربك واستغفره » نعي له وأقره النبي على ذلك . ولا شك ان سائر الصحابة قد فهموا معنى السورة كما فهمها ابن عباس وهي

على بلاغتها وهـذا الفهم الجديد من ابن عباس مزيد في البلاغة ودليل على ان لها مراتب متفاوتة ولا يمكن ان يكون الناس المتفاوتون في فهم كل شئ والعلم به يتفقون في فهم القرآن والعلم به وهو أعلى كلام وأجمعه للمعارف العالية الالهية والنفسية والشرعية (راجع جواب السؤال الثاني)

(٢) ان علماء اللغة والبلاغة قد اختلفوا في فهم كل كلام بليغ غير القرآن كالمعلقات السبع وغيرها مما يؤثر عن البلغاء في الجاهلية والاسلام فلو كان اختلاف الافهام في الكلام ينافي بلاغته لما كان لنا ان نقول ان في الكلام بليغا الا بعض الجمل البديهية من العامة الجهلاء كقولهم : أكلت رغيفا وشربت كوزا من الماء : وقد يختلفون في فهم ماعدا البديهي من كلام العامي كما يختلفون في فهم البديهي من كلام العالم بحمله على الكناية أو المجاز . واذا قرأت القرآن على عامي يعرف العربية ولو ممزوجة باللحن والدخيل وأنشدته قصيدة من شعر امرئ القيس أبلغ شعراء العرب لرأيته فهم من القرآن مالم يفهم من القصيدة وكان للقرآن في نفسه الأثر الذي ليس للقصيدة مايدانيه ، ومن هنا تعلم ان بيان القرآن عجيب ، وان لكل من يعرف العربية منه نصيبا ،

ولكن تأخذ الاذهان منه على قدر القرائح والفهوم

(٣) ان اكثر ماتعهد من الخلاف في التفسير سببه ان المختلفين لم يحاولوا فهم القرآن بذاته وإنما حاولوا تطبيقه على مذاهبهم في النحو والبلاغة والكلام والفقه حتى كأن مذاهبهم هي الاصل الثابت ولا بد من تطبيق القرآن عليه ولو حاولوا فهمه بذاته وأعدوا له مزاولة أساليب اللغة ومعرفة متنها والاطلاع على السنة من غير تقيد بمذهب مخصوص لأن القرآن فوق المذاهب والآراء لكان خلافهم أقل ووفاقهم أكثر ولكان رجوع أحد المختلفين الى الوفاق بعد النظر في دليل الآخر قريبا ، فالتقليد في الدين وفي قوانين اللغة هو منشأ البلاء الأعظم في الخلاف . وله أسباب أخرى مفصلة في كتاب (الانصاف ، في أسباب الخلاف) وهو كتاب نفيس يطلب من ادارة المنار وثمنه ٣ قروش وأجرة البريد نصف قرش

فعلم مما قلناه ان الخلاف دون ماقال السائل وانه لاينافي البلاغة قل أو اكثر ، ولو كان الخلاف في الكلام هل هو صحيح أو غير صحيح وهل هو بليغ أو غير بليغ وكان

كل ذي قول يورد الادلة على تأييد رأيه لكان للجاهل ان يشك في بلاغته لانه علم ان أهل الشأن اختلفوا فيها وهو غير قادر على الترجيح . والامر في القرآن على غير ذلك فقد أجمع بلغاء العرب من آمن منهم ومن لم يؤمن على اعجازه وكذلك العلماء بالعربية الذين أخذوها بالصناعة فلم يبق للجاهل عذر بعد العلم بان هذه مسألة لا نزاع فيها عند العارفين بهذا الشأن والله أعلم

الباب الثاني في التعليم

مضار تربية النساء الاستقلالية

كتبنا من قبل في بيان مضار استقلال النساء بتربيتهن كتربية الرجال وإقناعهن بأنهن مساويات لهم من كل وجه فان هذا أمر مخالف لسنن الفطرة التي بينا دين الفطرة في كتابه السماوي فقال « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » أي ان المساواة بين الزوجين واجبة في الحقوق مع حفظ حق سيادة المنزل للرجل . وقد أوردنا الشواهد والامثلة عن أهل أوروبا لاسيما نساء الانكليز على وجوب جعل المرأة تحت سيادة الرجل وعلى كون التربية عندهم صارت تعارض ذلك . وقد رأينا عنهن شاهدا جديدا في هذه الايام وهي ان النساء الكاتبات الفاضلات اللواتي تربين وتعلمن في هذا العصر طفقن يكتبن في الجرائد منتقدات شاكيات من تربية بناتهن تربية جعلت همهن محصورا في الزينة واللوع بصرف الاوقات في المتنزهات حتى صار يثقل عليهن مساعدة أمهاتهن في تدبير المنزل . وقد نقل المقطم نبذة من ذلك الى العربية عنوانها (حرب سجال) نوردها هاهنا تأييدا لقولنا وهي

«في انكلترا الآن حرب أقلام ثار عجاجها على صفحات الجرائد الانكليزية بين الامهات وبناتهن ورب قلم احد من السنان وامضى من الحسام . وقد كانت الامهات البادئات بالعداء فان أما منهن رأت من بناتها تقصيرا في قضاء الواجبات المنزلية المفروضة عليهن وميلا الى عصيان كل أمر تصدره اليهن فهالها طغيانهن وتهاملهن وضاقت ذرعا عن كبح جماحهن فاستغاثت بالجرائد وبعثت برسالة الى احدى الجرائد المشهورة